زواج الاكليروس

نظر لاهوتي تاريخي الاب لويس شيخو اليسوعي

من آفات عصرنا حكّة في اللسان ومثلها في القلم تحمل البعض على الخوض في امور يجهلونها وعلى النزال في ميادين ليسوا هم من فرسانها . وربّما طرحوا للمباحثة مسائل لطيفة تُبتذل وينحطّ شأنها اذا ما انتشرت على رؤوس الملا شأن الخريدة العذراء التي تزيد بها، في خدرها وتفتقد محاسنها ان تعرّضت لنظر كلّ السابلة او كالزهرة البهيّة تذوي وتذبل اذا ما تداولتها الايدي بعد قطعها من غصنها وخروجها من حديقتها

وممّا اقترحهُ احد الادباء على الكتبة — وليتهُ لم يفعل — البحث في صلاحية زواج الاكليروس فكثر القال والقيل في هذا الامر في مجلّتي الحقيقة والنور وغيرهما . فحمي وطيس الجدال وثار غبار المجال فلم يعد يليق بنا السكوت في مجلّة دينيّة اوقفت نفسها لبيان الحقيقة وللدفاع عن رسوم الكنيسة لا سيّما اننا نعلم بان الذي طرح هذه المسئلة للبحث ينتظر في ذلك رأينا فهانحن نبدي بهِ صريحًا مؤيدين قولنا باوضح الحجج واصدق البيّنات

*

لا خفاء بان الزواج من السُّنن الطبيعيّة التي سنّها الخالق منذ اوّل الخليقة اذ بارك للابوين الاوّلين وقال لهما بل لكلّ ذريّتهما على لفظ الجمع (تك ١ : ٢٧) « اثمروا واكثروا واملأوا الارض واخضعوها » ولم يتهدّدهم عزّ وجلّ بالعقاب ان لم يفعلوا لعلمهِ بان الانسان كالحيوان كالنبات مدفوع بكل قواهُ الى ان يتّخذ لهُ شبيهًا بهِ يواصل من بعدهِ حياتهُ الادبيّة ويقوم مقامهُ في خدمتهِ للهيئة الاجتماعيّة

ولمّا ظهر ابن الله على الارض وتردّد مع البشر لم ينقض هذه السنّة البتّة بل اوثق عروتها واصلح منها ما افسدهُ القلب البشري والاهواء الباطلة فجعل الزواج سرًّا مقدّسًا كبقيّة اسرار البيعة وبذلك رفعهُ الى مقام جليل لم تعرفهُ من ذي قبل الامم الوثنيّة بل شعب الله نفسهُ . ولذلك قد تلطّف السيد المسيح وحضر مع والدتهِ

الطاهرة وتلاميذه عرس قانا الجليل وشاء اجلالًا لسرّ الزواج ان يقدّم ساعة آياته ليصطنع تلك المعجزة الباهرة باكورة خوارقه اعني تحويل الماء خمرًا (يوحنا ٢ : ١—١١)

وقد تعقّب الرسل آثار السيّد المسيح بتعظيم سرّ الزواج والتنويه برفعة منزلته وبالخصوص بولس الرسول الذي اختصر في رسائله قوانين هذا السرّ . قال في رسالته الاولى الى اهل كورنتس (٧ : ٣) : لسبب الزنى فلتكن لكل واحدة رجلها » . وقال فيها (٧ : ٣٨) : « من زوّج عذراءه حسنًا يفعل » . بل لم ينكر الرسول الزواج الثاني وقد قال في رسالته الاولى الى تيموثاوس (٥ : ١٤) : « أحبّ انّ الفتيات (يريد من الارامل) يتزوّجن ويلدنَ البنين ويدبّرنَ البيوت » . وقد بيّن في رسالته الى اهل افس (٥ : ٣١—٣٢) سبب عظمة هذا السرّ حيث قال : « يترك الرجل اباهُ وأمّهُ ويلزم امرأتهُ فيصيران كلاهما جسدًا واحدًا . انّ هذا السرّ عظيم . اقول هذا بالنسبة الى المسيح والكنيسة » . فبهذا الكلام اوضح الرسول بانّ الزواج المسيحي رمزٌ الى زواج عجيب يفوق الادراك اعني اقتران المسيح مع الكنيسة واتحاد الطبيعة الالهية بالجبلة البشريّة

ولذلك لم تزل الكنيسة تناضل عن شرف هذا السرّ وتكافح كلّ الاهواء البشريّة صونًا لرتبته . ولمّا حاول اهل البدع ان ينقضوا ما ابرمهُ المسيح وتلاميذهُ ويزيّفوا الزواج زاعمين انهُ من اعمال الشرير تصدّى لهم الآباء وردّوا عليهم وصوّبوا اليهم سهام الحرم فأفرزوهم من جملة القطيع المقدّس

فمع تسليمنا بكل هذه القضايا واعتبارنا لسرّ الزواج القانوني كما رتّبهُ السيّد المسيح وبرت عليهِ الكنيسة منذ عشرين قرنًا بقي علينا ان نبحث في زواج الاكليروس خصوصًا . وقبل الخوض في هذا الموضوع لا بُدّ من تقديم بعض ملحوظات كتمهيد لقولنا :

اوّلًا انّ الزواج مع كونهِ امرًا طبيعيًا تسوق اليهِ الطبيعة وحتم بهِ الخالق للجنس ليس هو امرًا حكم بهِ الربّ على كلّ فرد من افراد الجنس اذ لا اثر لمثل هذا الحكم اللازب في سفر التكوين عند خلقة الابوين الاوّلين . وكذلك في كلّ اسفار العهد القديم لا تجد مطلقًا امرًا يوجب الانسان بالزواج . وكلّ يعلم انّ بني اسرائيل كانوا يجلّون الابوّة والامومة ويعتبرونها كاعظم دليل على بركة الله . وكذلك الشعوب

القديمة والمشترعون الكبار بين اليونان وغيرهم لم يخطر على بالهم قطّ ان يجعلوا الزواج اجبارياً مع اتخاذهم الوسائل للترغيب فيهِ ومجازاتهم لارباب العيال الكثيرة وتقديمهم للمزوّجين على الاعزاب في المراتب

ثانياً لم يغيّر السيّد المسيح ورسلهُ الكرام شيئاً في هذه السنّة . وانا رفعوا كما رأينا رتبة الزواج ايزيدوهُ اعتباراً في اعين الناس

ثالثاً قد تقضي احوال كثيرة بترك الزواج لدواعي مختلفة منها جبريّة ومنها اختياريّة فمن ذلك اسباب صحيّة كالامراض والعاهات . ومنها امور المعاش كالفقر وقلّة ذات اليد . ومنها طوارئ الحياة كالاسفار . ومنها الخير العام كالتجنّد وخدمة الوطن . ومنها ايضاً التفرّغ لبعض امور العقل كالدرس والعلوم . وكلّ هذه الاسباب وغيرها قد استصوبها الناس لم تأخذ اصحابها فيها لومةُ لائم

رابعاً ليس صلاح الهيئة الاجتماعيّة بكثرة المواليد لكنها تقوم خصوصاً بتهذيب الافراد وحسن تربية الشبيبة وتأسيس روح الدين في قلوب الجموع والحيادة عن البذخ والملذّات وقطع دابر الشهوات الباطلة والسلوك في الآداب الحسنة وكلّ هذه الشروط لا يستوفيها المتزوّجون الّا بان يقوم بينهم من يضحي في سبيل خيرهم وخير اولادهم كل هموم الابوّة ويتجرّد عن محبّة ذويهِ ليخصّ بمحبّتهِ قريبهُ

هذه الملحوظات وغيرها ممّا يضيق المقام عن تعدادها تبيّن صريحاً انّ ليس كلّ عزوبة مرذولة . وانّ البتوليّة في بعض الاحوال تستحقّ التفاتاً خصوصيّاً لا بل تستوجب الشكر والممنونيّة لاصحابها

فان كان الامر كما قلنا دعنا ننظر أتليق العزوبة بالاكليروس العالي (فضلاً عن الرهبان الذين لا ينكر اثنان انّ الامّة احد فروضهم اللازبة لا تقوم دعوتهم دونها) ونبيّن القضيّة اوّلاً نظريّاً ثمّ نستقري بعد ذلك كتب التاريخ الديني والمدني لعلّنا نجد فيها جواباً شافياً على هذا المشكل

*

هو الكهنوت يقرّب الانسان من الله ويفرزهُ لخدمة الاقداس ويجعلهُ وسيطاً بين السماء والارض . ولذلك قد عرفت الشعوب القديمة قدرهُ واجلّت اصحابهُ وكادت تعتبرهم من جنس يفوق الطبيعة البشريّة . وممّا كانوا يطلبونهُ خصوصاً في كهنتهم

العفاف والتجرّد عن ملاذ العالم لعلمهم بانّ الاله منزّه عن الارجاس لا يرضى بشيء رضاهُ بالنفس الطاهرة . ولذلك ترى الامم جمعاء على اختلاف نزعاتها وتباين اديانها تفرض على كهنتها اما العفّة الدائمة واما العفّة المؤقتة على الاقلّ . فهذه كهنة ايزيس في مصر وكهنة ألوسة في اليونان وبعض فروع البراهمة في الهند كانوا يتفاخرون بالتبتّل . قال ديوستان الخطيب اليونانيّ في ردّه على تيوكرات : « انّ الذي يدخل المقدس ويمسّ الآنية المفرزة لخدمة الالهة ويتولّى المناسك الدينيّة يترتّب عليه العفاف ليس فقط أيّاماً معلومة ولكن مدة حياته كلها » . وكان العفاف في الكواهن مستحبّاً حتى شاع هذا المثل بين القدماء « ان الكاهنة العذراء ارقى طبيعةً من المرأة » ومن ثمّ كانوا يختارون العذارى لخدمة إلهة الحكمة ميزرفة والهة الصيد والتنص ديانة و إلاهات الفنون الجميلة . وكانت العذارى في رومية يتولّين سدانة هيكل ڤستا كما كنّ يتولّين في فارس خدمة هيكل الشمس وفي بابل حراسة هيكل بالوس . وكنّ اذا اتين اثمًا مخالفاً للعفاف يُعاقبن اشدّ العقاب شأن من ينتهك حرمة القدسيّات

ولم يُجهَل في العهد القديم شأن التبتّل الديني رغمًا عن اعتبار بني اسرائيل الزواج القانوني . ومن الشواهد على ذلك انّ الكهنة في أيام خدمتهم للهيكل كانوا يمتنعون عن ازواجهم فلا يأكلون خبز الاقداس الّا اطهارًا (١ ملوك ٢١ : ٤) . بل فرض الله على كلّ الشعب الّا يقربوا امرأة ليستعدّوا لظهور الربّ في طور سينا (خروج ١٩ : ١٥) وكذلك الانبياء كانوا اذا حضّوا على التوبة وارضاء الخالق بالانابة ذكروا في جملة اعمالهم الحيادة عن الازواج (يوئيل ٢ : ١٦) . وفي سفر المكابيين الثاني (٣ : ١٩) انهُ كان قرب الهيكل مكان أفرز للعذارى . وقد افادنا يوسيفوس في كتابه المعنون بالحرب اليهوديّة (ج ٢ ك ٨ ع ٢ — ٧) بان فئة الزهاد المعروفين بالأسانيين كانوا يعيشون متبتلين . وكل ذلك دليل على ان اليهود كانوا يرون في البتولية حالة كمال وقداسة اذا ما باشرها الانسان حبًّا به تعالى ليتقطع لخدمته متجرّدًا عن الحواسّ وشهوات البدن . وزد على ذلك أنّ كثيرين من كبار الانبياء في العهد القديم عاشوا في العفاف الدائم كملكيصداق والياً والياشاع ودانيال وخصوصاً يوحنّا المعمدان الحصور وشهيد القداسة الزواج . فانّ هؤلاء وغيرهم كانوا من اولياء الله الممتازين فلولا معرفتهم بانّ البتولية ترضي الله وتصيب لديه الحظوى لما حملوا عبء العفّة وضحّوا لاجلها ملاهي العالم

فان كان هذا اعتبار العهد القديم للتبتُّل فما قولنا بالعهد الجديد الذي بلَّغ اهلهُ ذروة الكمال . فانَّ البتولية اضحت في الكنيسة كاحدى حليها التي تزينها باكمل من المجد في اعين السماء والارض

وقد مشى المسيح البتول في مقدَّمة شعب الله وكرأسهِ الادبيّ يحدق بهِ قومٌ من الابرار الذين نبذوا كلّ شهوات العالم فكانت والدتهُ عذراء وابوهُ بالذخيرة بتولًا ومعظم رُسلهِ اعفَّاء . وكان يبدو بالمثل ضعف من يترك لاجل اسمهُ اباهُ وامَّهُ وزوجتهُ . ويرينا يوحنَّا الرسول في كتاب الرؤية (١٤ : ٤) عرش الحمل محفوفًا بالعذارى والمتبتلين الذين يتبعون الحمل حيثما سار . كما انَّ صاحب المزامير (مز ٤٤ : ١٥) يصف الكنيسة على صورة ملكة تكتنفها العذارى فيصحبنها ويخدمنها بالعفاف بل كثيرًا ما وصف بولس الرسول ويوحنَّا الحبيب بيعة الله كعذراء طاهرة اختطَّها المسيح لنفسهِ واصطناها لطهارتها الفائقة

فان كانت هذه منزلة العفَّة في العهد الجديد قل لي ناشدتك الله بمن تليق هذه الحالة لياقةً اعظم اليس باولئك الذين جحدوا الارضيَّات ليتنظموا في سلك ميراث الربّ ؟

ولا تقل انَّ الكهنة في العهد القديم كانوا ايضًا ميراث الربّ ولم تُفرَض عليهم سنَّة البتولية . فانَّ البون بين اولئك وهؤلاء كالفرق بين الثريَّا والثرى فانَّ الكهنوت القديم كان كهنوتًا منحصرًا في سبط واحد يتوارث بالتناسل وكان بنو لاوي يقدّمون ضحايا غير ناطقة ويخدمونهُ تعالى بالرموز موقتًا الى ان يضمحلّ الظلّ وتظهر الحقيقة وكانت خدمتهم لا تتجاوز الخارج وتأتي بالنوبة . امَّا كهنوت العهد الجديد فانهُ كهنوت روحي يعمُّ كل اقطار الارض والكاهن المسيحي يقدّم ضحيَّة طاهرة تعلو فوق كلّ ادراك . يلبس شخص المسيح فباسمهِ يعتمد وباسمهِ يُحلُّ عن الخطايا وباسمهِ يجدّد ضحيَّة الجلجلة . يدخل الى باطن القلوب فيغسلها ويردّ لها ثوب البرارة المفقود ويفتح لها باب السماء وفعلهُ هذا يوميّ بلا انقطاع فهي كلّ ساعة يُطلَب الكاهن لعيادة المرضى ولاصلاح الخصوم ولتوزيع الاسرار وللسير وراء النعجة الضالَّة ولتبرير الابن الشاطر . هذا الى ما يُفرض على الكاهن بان يقيم الصلاة القانونيَّة ويهذّب مرؤوسيهِ ويعلّمهم مبادئ الخلاص ويهديهم الى مراعي القداسة الخصبة فيكون

ابًا للاصغار ومرشدًا للضالين ونورًا للعميان ومساعدًا ودليلًا وحديثًا لكلّ محتاج ولهيف وقدوة لكلّ الفضائل المسيحيَّة حتى يصير مثل المسيح ربّه قديسًا بريئًا زكيًّا منزّهًا عن الخطأة (عبر ٧: ٢٦) . فلعمري كيف يقوم بكل هذه الواجبات المقدسة ان كان متأهّلًا منقطعًا لخدمة بيته يقضي وقته في اكتساب معاش ذويه وكثرة عياله هنا في خطام الدنيا شاء ام أبى . بل كيف يضحي ذاته في سبيل رعاياه اذا اصابتهم عدوى من طاعون وجدري وهو لا يخاف فقط على نفسه بل على اهل بيته . وكيف . . . وكيف . . .

وقد اقرّ بذلك المراطقة انفسهم الذين خرجوا من حجر الكنيسة واطلقوا العنان لشهواتهم . فدونك ما كتبهُ لوتاروس زعيمهم لمّا سمع اوّل مرّة بأنّ اشياعهُ اخذوا يسخرون للرهبان بالزواج قال : « ان كارلوستاد يدفع الكهنة العزّاب الى الزواج وغاية ما اخاف من فعلهِ هذا ان يجعلنا اضحوكةً في اعين العالم لا سيّما انهُ يستند الى اسانيد ضعيفة جدًّا لتحليل الزواج . امّا انا فلو رأيت كلّ اصحابنا في شتبرغ يتقيّدون بالزواج فلا اجري قطّ على مثالهم » لكنّ لوتاروس لم يلبث ان نسي وعدهُ فتزوّج بعد ذلك براهبةٍ ولعلمهِ بما يلحقهُ من العار لهذا الفعل لم يجسر ان يحتفل بزواجهِ الموهوم جهارًا فعقدهُ ليلًا امام رجلين من اصحابهِ . ثمّ تعاورهُ منخاز ضميرهِ فكتب لصديقهِ سالاتي : « اني عرّضتُ نفسي للذلّ والهوان منذ تزوّجت فانّ العالم والعقلاء من اصحابي لم يعودوا يرون في اصلاحي عملًا الهيًّا »

ولذلك ترى اليوم في الاكليروس الانكليكاني الذين يتقرّبون من تعاليم الكنيسة الكاثوليكيَّة ويزيدون خدمة النفوس بالاخلاص والنزاهة ينبذون الزواج ويفرضون على نفوسهم العفَّة المؤبدة

هذا ما يلوح لكل ذي عين باصرة وعقل منزّه عن الاغراض بخصوص زواج الاكليروس . فبقي ان نفحص عن الامر تاريخيًّا لنرى ما اصل هذه السنَّة وهل هي اختراع حديث كما زعم مكاتبو الحقيقة والنور

*

من يا تُرى فرض على الاكليروس العزوبة ؟ أهذا امر مستحدث كما زعم البعض . اسمع المدعو رزق الله في مجلة النور وليأخذك العجب من علمهِ قال (ص ٥٨٦) :

« كيف تغيَّرت هذه العادة واسى زواج الاكليروس امرًا مستهجنًا مستنكرًا ؟ امر بذلك المجمع البندكتي في قانونه الثاني عشر » يا لهُ من علم فائق وعالم بارع لا يفوتهُ شيء من اسرار التاريخ . ولكن أيسح لنا ان نسألهُ ما هو « المجمع البنديكتي » الذي ذكرهُ ومتى عُقد وفي اي بلد ؟ اهو مجمعٌ مسكونيّ او مجمع اقليميّ ؟ فليشفِ جهلنا بعلمهِ لانهُ لدينا مجموع كلّ المجامع وقوانينها في ٣٧ مجلدًا ضخمًا ولم نعثر على هذا المجمع البنديكتيّ » ولا غرو انَّ علمهُ اوسع من كلّ هذه المجاميع

اما ما بلغ اليهِ علمنا القاصر فهو انَّ تبتُّل الكهنوت يرتقي الى السيد المسيح ورسلهِ ثمَّ ادخلتهُ الكنيسة شيئًا فشيئًا في مصافّ الاكليروسها حتى صار كسنَّةٍ مرعيَّة في اغلب الاقطار

دعا السيد المسيح الى التبتُّل ليس فقط بمثلهِ كما سبق بل باقوالهِ ايضًا

جاء في انجيل متى (١٩ : ١٠—١٢) انَّ رسل المسيح لمَّا سمعوا سيدهم يحظر عن الطلاق ولو بعلَّة الزنى وجدوا الامر صعبًا فصرخوا : « ان كانت هكذا حال الرجل مع امرأتهِ فاجدر لهُ الَّا يتزوَّج » فقال لهم : ما كلّ احد يحتمل هذا الكلام الَّا الذين وُهب لهم » ثم انتهز الفرصة ليعلمهم بما هو ارفع من الزواج فقال : انَّ من الخصيان من وُلدوا كذلك ومنهم من خصاهم الناس ومنهم من خصَوا انفسهم من اجل ملكوت السماوات . فمن استطاع ان يحتمل فليحتمل » فبقولهِ هذا عزَّ وجلّ بيَّن صريحًا وجود التبتُّل الاختياري لاجل ملكوت السماوات

ثمَّ زاد الرسول تصريحًا في رسالتهِ الاولى الى اهل كورنتوس اذ عرض التبتُّل على المؤمنين وكلامهُ اجدر واحقّ بالاكليروس كما لا يخفى . ففي الفصل السابع من هذه الرسالة كلام عجديّ واضح في شرف البتوليَّة فبعد ان اثبت الرسول صلاحيَّة الزواج اردف بقولهِ ما نصُّهُ (٧ : ٦) « وانا انما اقول ذلك على سبيل الاباحة لا على سبيل الامر » ثم تخطَّى الى تفضيل البتوليَّة (٧ : ٧—٤٠) قائلًا : « اني اودّ لو يكون جميع الناس مثلي . . . واقول لغير المتزوّجين وللارامل انهُ حسن لهم ان يبقوا على هذه الحال كما انا . فان لم يتعفَّفوا فليتزوَّجوا فانَّ التزوُّج خير من التحرُّق . . . اني اريد ان تكونوا بلا همّ فانَّ الغير المتزوّج يهتمُّ فيما للربّ كيف يرضي الربّ واماَّ المتزوّج فيهتمّ فيما للعالم كيف يرضي امرأتهُ فهو منقسم . والمرأة غير المتزوّجة والعذراء تهتمُّ فيما للربّ لتكون

مقدسة في الجسد وفي الروح واما المتزوجة فتهتم فيما للعالم كيف ترضي رجلها . . . »

فترى من هذا الكلام سموّ مقام البتولية التي يشير بلازمتها الرسول حتى على المتزوجين . فليت شعري اليس هذا الكلام احقّ بالكهنة الذين دعاهم الله الى حالة اسمى وارفع من دعوة بقية المسيحيين ؟ اليس لهم يقول الرسول بانهم لا يستطيعون ان يكونوا « منقسمين » بين خدمة الربّ وخدمة العائلة

وكأني بلاهوتيّ « النور » يوقفني عند حدّي فيقول مالك لا تذكر قول بولس لتيموثاوس (الرسالة الاولى ٣ : ٥) ولتيتوس (١ : ٦) وهو يكرّر مرّتين بان الاسقف يجب ان يكون « رجل امرأة واحدة » . فان صحّ زواج الاسقف فكم بالحري يصحّ زواج الكهنة

بئس الاحتجاج فان كاتبي الحقيقة والنور خبطا بشرحهما لهذه الآية خبط العشواء ولو رجعا الى المفسرين الأثبات لوجدا حلّ هذا المشكل الذي لا يتناص فكّهُ على كثيرين من البسطاء . اعلم يا صاح انّ في اوّل الكنيسة كان الرسل لقلّة عدد النصارى يحتاجون الى وضع الايدي على رأس المتزوّجين ليعهدوا اليهم برعاية اخوتهم فكأن الرسول يقول لتلميذه : اختاروا للاسقفية رجالًا افاضل متّصفين بالصفات الحسنة وليكونوا غير مقيّدين بالزواج فان لم يوجد غير المتزوّجين فانتخبوا الذين تزوّجوا ساعتئذ بامرأة واحدة حيّة كانت او ميتة ليس الذين تزمّلوا فعادوا ثانيةً الى الزواج . فشتّان بين هذا التفسير وتفسير الذين يزعمون انهُ يجب الزواج على الاساقفة . ولو كان تفسير المناظر صحيحًا لوجب على بولس ان يتزوّج ويفرض على تلميذيه الزواج مع انّنا سمعناهُ يتمنّى ان يكون الكلّ مثلهُ غير مقيّدين بالزواج . وما يدلُّ على صحّة تفسيرنا انّ الآباء هكذا فهموهُ منذ اوائل النصرانيّة . لنا شاهد على ذلك في كتاب العفّة لترتليان حيث يستند الى آية الرسول لمنع زواج الارامل

وعلى هذه الصورة ينبغي تفسير ما ورد في قوانين الرسل حيث يقال « فليكن الاسقف بعل امرأة واحدة » لا انهُ يباح للاساقفة التزوّج كما يزعم المقترح للزواج على الاكليروس في مجلّة النور

اما هل كان يجوز للمرتبطين بالزواج ان يساكنوا ازواجهم ويلزمونهنّ عند دخولهم في الخدمة الاكليريكيّة فالمرجّح انهُ كان يُفصَل بينهم . والشواهد على ذلك ليست

بقليلة : جاء في كتاب النظام الكنسيّ الراقي الى القرن الثاني للنصرانيّة والمنسوب الى الرسل انهُ يُقضى على الاساقفة والكهنة ان ينفصلوا عن نسائهم (١ . وكذلك في تعليم ادّي بالسريانيّة وهو من اواسط القرن الثالث انّ كلّ الذين كانوا منقطعين لخدمة الكنيسة رجالًا ونساء كانوا يعيشون بالعفّة

وقال القديس كيرلُس الاورشليميّ في شرحهِ الثاني عشر على التعليم المسيحي (ع ٢٥) وهو يقابل بين عفّة العذراء مريم في ولادة المسيح وعفّة الكاهن « أما كان يليق انّ اله الطهارة يخرج من احشاء طاهرة ؟ كيف لا ونحن نرى الذين يحسنون الخدمة في كهنوت المسيح يمتنعون عن ملازمة النساء أفكان يسوع يستطيع ان يولد من زرع بشريّ ؟ »

وكان مجمع البيرة في اسبانية وضع قانونًا صريحًا في منع زواج الاكليروس في كلّ درجاتهِ العليا سنة ٣٠٥ فقال في القانون ٣٣ « قد حسن في اعين الآباء ان يُفرَض على الاساقفة والكهنة والشمامسة والذين يدخلون في خدمة الهيكل الامتناع عن ازواجهم وعن توليد البنين وان خالف احد منهم فليقطع عن رتبته »

والشواهد على تبتُّل الاكليروس في القرن الرابع والخامس عديدة ليس في بلاد الغرب فقط بل في الشرق ايضًا . اسمع القديس هيرونيموس في ردّهِ على يوفيانوس (ك ١ ع ٣٤) : ألا تقرّ بأنهُ لا يمكن الاسقف ان يبقى في استقامته متزوّجًا واذا ما عُرف امرأتهُ فان فعلهُ هذا يُعدّ كزنًى » . وقال في رسالتهِ ٤٨ الى بمّاكيوس (ع ٢١) : « الاساقفة والكهنة والشمامسة لا يُختارون الّا ارامل اما اذا كانوا متزوّجين فيُحتّم عليهم الامتناع عن حقوق الزواج »

والقديس هيرونيموس ما هو اصرح ايضًا في عادة زمانهِ قال في ردّهِ على ڤيجيلانسيوس (مجموعة مين ج ٢٣ ص ٣٤١) الذي كان يزعم مثل البعض في زمانا انهُ ينبغي الزواج على الاكليروس « ان صحّ مذهبك ماذا تقول عن كنائس الشرق وعن كنائس مصر وكنيسة رومية وكلّ هذه الكنائس لا تقبل في جملة اكليروسها

(١ Bickell: *Gesch. d.* Kirchenrechts, I, 107 « δεῖ οὖν εἶναι τοὺς πρεσβυτέρους ἀπερχομένους τῆς πρὸς γυναῖκας συνελεύσεως »

الاَّ متبتّلين او اعفافاً وهي تفرض على من يريد الانتظام في خدمة الكنيسة ان يقطعوا كل علاقة مع ازواجهم اذا ما كانوا متزوجين

وكذلك حتمت كنائس افريقية سنة ٣٩٠ (ع ٣) ما تعريبهُ: « قد رضي الاباء بان يعيش الاساقفة والكهنة والشمامسة في العفّة كما يليق بمن يخدمون الاسرار المقدّسة ويستديمون من الله بالصلاة ان نحفظ نحن ايضاً تلك السنّة التي علّمنا اياها الرسل وجرت عليها العادة القديمة ». وهو كلام جدير بالاعتبار اذ يعزو للرسل سنّة العزوبة الاكليركية ويثبت أنّها عادت قديمة مرعيّة . وكان البابا سيريقيوس سبق في مجمع روماني قرّر انفصال الاكليريكيين المتزوجين عن نسائهم وذلك سنة ٣٨٦ . وقد اثبت هذا القانون البابا اينوشنسيوس الاوّل سنة ٤٠٤

ولنا في تأليف اوسابيوس المعروف بابي التاريخ الكنسيّ شهادات واضحة على العزوبة الكهنوتيّة في عهده . وفي كتابه المسمّى بالايضاح الانجيليّ (ك ١ ف ٩) يبحث عن سبب الفرق الموجود بين الكهنوت القديم والكهنوت المسيحيّ من قبيل الزواج فيجيب « ان الكهنوت القديم كان كهنوتاً جسدياً فلذلك كان الله جعلهُ في سبط معلوم يتوارثهُ البنون عن آبائهم . أمّا الكهنوت الحديث فهو كهنوت روحيّ مجرّد عن الجسديّات فلا يمكنهُ ان ينحصر في ولد او ولدين لكنهُ يشمل عدداً كبيراً من بني الله »

وفي اعمال القديس ابيفانيوس اسقف قبرس عدّة شواهد على ائتلاف الاكليروس للبتوليّة . فانهُ في ردّهِ على بدعة منتانوس (البدعة ٤٨ ف ٩) يصرّح « بان الكنيسة وفقاً لقانون رسولي تأمر الكهنة بالاعتزال عن نسائهم » . وفي ردّهِ على البدعة ٥٩ يكرّر قولهُ « بأن الكنيسة لاكرامها رتبة الكهنوت لا تقبل في مصافّ الاساقفة والكهنة والشمامسة الانجيليين حتّى الرسائليين المتزوجين منهم الاّ على شرط مهاجرتهم لنسائهم

ويوافق القديس يوحنّا فم الذهب معاصرهُ ابيفانيوس في هذا الشأن . وفي اعمالهِ . دليل واسع في البتوليّة وشرفها وانتشارها في الكنيسة . وهو يشرح آية الرسول في الاسقف ذي المرأة الواحدة كما شرحناها . ولمّا علم ان اسقف افسس انطونيوس كان يعيش مع امرأتهِ انزلهُ عن كرسيهِ

هذا ولا ننكر انّ في بعض الامكنة كان يسمح للاكليريكيين المتزوجين بان

يساكنوا نساءهم الا انَّ هذا التسامح يظل شيئاً فشيئاً او كان يجري كما يقول القديس ابيفانيوس في الفصل المذكور آنفاً « على خلاف القانون الكنسي »

فمما سبق ترى كذب القائلين بان عزوبة الاكليروس اختراع حديث من المجمع البنديكتي (!) وذلك خوفاً من ان يتسلط الاساقفة على اموال الكنائس والاوقاف ويختلسوا المال المقدَّس لمياهم (النور ص ٥٨٦)

وأن سأل السائل وكيف اذن يؤذن اليوم لكهنة الطوائف الشرقيَّة بان يلزموا نساءهم وان يولدوا الاولاد والكنيسة الرومانيَّة لا تنكر عليهم ذلك فلولا انَّ هذه العادة قديمة لما ألفها الشرقيُّون مع مراعاتهم للقديم. نجيب انَّ زواج الاكليريكيين الذي كان اوَّلاً كالشواذ يُتسامح به في بعض الامكنة انتشر بواسطة بعض الشرائع المدنيَّة التي سنَّها امبراطرة القسطنطينيَّة لاسيما يستنيان في القرن السادس فاخذ قوم من الاكليروس يجرون عليها خلافاً للقوانين الكنسيَّة وبقي ذلك مدَّة رغماً عن العادة المخالفة. ومن المعلوم انَّ في الامور الواسعة يصعب اصلاح العادات لاسيَّما اذا كان المخالف يجد لهُ سنداً في السلطة الخارجة

واتَّسع الخرق شيئاً فشيئاً حتى عُقد المجمع السادس سنة ٦٩٢ في القسطنطينيَّة وهو المجمع المسكوني السادس. فانَّ آباء هذا المجمع رذلوا بدعة المشيئة الواحدة وقرَّروا التعاليم الدينيَّة المثبتة من المجامع الاولى. وقد صادق الكرسيّ الرسوليّ على هذه القرارات. لكنَّهم لم يكتفوا بذلك فوضعوا بعض رسوم نظاميَّة من جملتها التسامح مع الكهنة والشمامسة المتزوجين قبل سيامتهم بان يعيشوا بصحبة ازواجهم. وهذه الرسوم ليس فقط لم يوقع عليها الحبر الروماني وهو القديس سرجيوس الاوَّل. بل رذلها وابطلها بسلطته الرسوليَّة ولم يخفْ تهديدات يستنيان الثاني المعروف بالاخرم ليغصبهُ على قبولها

اما الشرقيون فان كثيرين منهم اعتبروا هذه الرسوم كقانونيَّة وعملوا بها ولمَّا عادوا من المزطقة والشقاق الى حجر الكنيسة الرومانيَّة او جدَّدوا الطاعة الى احبارها غضَّ هؤلاء النظر عن الكهنة المتزوّجين ولم يشاؤوا ان يضطرُّوهم على قطع علائق الزواج التي تقيَّدوا بها قبل الكهنوت. وانما تركوا ذلك لاحوال الزمان ولعلَّهُ يقتاد بالكهنة دون اضطرار الى التبتُّل الذي كاد اليوم يعمّ معظم الاكليروس الكاثوليكيّ الشرقي والامل معقود بانهُ لن يمرّ علينا نصف قرن قبل ان نسرّ بشمولهِ كافة اعضاء الاكليروس

ولا نتعرّض هنا لبعض الحجج السفسطيّة التي يستند اليها بعض العالمين للقول بزواج الاكليريكيين فانّها اوهن من نسيج العنكبوت كقولهم مثلاً بانّ قوماً من الاكليريكيين لم يحافظوا على مواعيدهم ويخرقون حرمة العنة . فلعمري انّما القاعدة بالشواذّ فان وُجد بعض الاكليريكيين الذين يحنثون بأيمانهم افيُبنى قياس على هؤلاء . وعلى كلّ حال ليست سنّة صالحة الّا ويخالفها بعض الخالقين . وزد على ذلك انّ الكنيسة لا تضطرّ احداً على الانتظام في عداد رجال الدين فان رأى انسان انّ كتفهُ لا تستطيع حمل هذا النير فليبقَ في درجتهِ وليعش بين العالميّين

اما قول البعض انّ الكاهن اذا كان متزوجاً عرف احوال رعيّتهِ معرفةً اعظم وامكنهُ بذلك اصلاح آدابهم وتعميم الدين بينهم فهذا محض اختلاق او بالحري كذب حنبريت . فكأن كاتب هذه الاسطار يطلب من الطبيب ان يقاسي مضض الامراض قبل ان يداوي المرضى فتصير معرفتهُ بها تامّةً . ولا نعلم كيف تصلح آداب الشعب اذا رأى الناس كاهنهم مهتمّاً بامور الدنيا « منقسماً » بين خدمة عائلتهِ وخدمة النفوس او كيف ينتشر روح الدين اذا رأوهُ مشغولاً بحطام العالم وملاذّهِ . فلله ما اضعف بضاعة هؤلاء الكتبة الذين يوقفون أنفسهم على اصلاح الاكليروس ولهم لو ارادوا في ما يصلح سلوكهم شغل شاغل فليباشروا باصلاح انفسهم وليدعوا لرؤساء الاكليروس المهمّ باصلاحهِ . ليس للخراف ان يهدوا الراعي ويُعلموهُ بواجباتهِ وانّما الواجب عليهم بان يكرموهُ ويسمعوا لصوتهِ ويعملوا بمشيئتهِ كما هو ينقاد لاوامر الكنيسة ولمشيئة رؤسائهِ والسلام

معرض خطوط عربيّة قديمة

ARABIC PALAEOGRAPHY

انتقاد الاب لويس شيخو اليسوعي

نُهي العرب عن رسم تصاوير الاحياء من معبود وانسان وحيوان فوجّهوا نظرهم الى تصاوير أخرى شحذوا بها قرائحهم وابرزوا فيها ما طُبعت عليهِ اذهانهم الوقّادة ألا وهي النقوش الهندسيّة والتخطيطات المتناسقة المندمجة بعضها اندماجاً لطيفاً والاشكال